جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة– كلية العلوم الانسانية والاجتماعية–

قسم التاريخ

السنة الجامعية: 2023 –2024 **د.طيبي مهدية**

محاضرة: تاريخ المغرب الحديث **المستوى: الثانية ليسانس**

المحاضرة الثانية : المغرب والسلطة السعدية الشريفة (الصراع السعدي الوطاسي و الصدام السعدي العثماني)

يعود اصل الاشراف السعديين الى مدينة ينبع و قدموا الى المغرب في بداية القرن الثالث عشر ميلادي و استقروا في وادي درعة او واد الدراع في قرية جنوب المغرب تدعى تاكمادرت و تذكر المصادر ان نسب السعديين شريف ينحدرون لمحمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن حسان المثنى بن حسان البسط بن علي بن ابي طالب و هناك من قال ان السعديين بني عم السادة العلويين اشراف سجلماسة (تافيلالت) و هناك من قال انهم ينتمون الى قبيلة بني سعد قبيلة حليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم و مهما كان حول نسب السعديين فان اول من هاجر من الحجاز الى المغرب من اجداد السعدين هو المولى زيدان بن احمد الذي نزل درعة و ظل اسلافهم مقيمين بها الى ان ظهر منهم أبو عبد الله القائم بامر الله اول السلاطين بالمغرب

دعى القائم بامر الله السعدي السكان للجهاد ضد البرتغاليين في قرية فونتين قرب اغادير وقد احرز المغاربة نجاحا اوليا أدى الى التفافهم حول القائم بأمر الله و في سنة 1517م توفي القائم وخلفه ابنه احمد الاعرج و تولى اخوه محمد الشيخ امر السوس استأنف الاعرج في النضال ضد البرتغاليين و نجح السعديين في تحقيق نجاحات و بين عام 1525/1523 م استولى احمد الاعرج على مراكش احدى العواصم التاريخية الكبرى و تعتبر أولى الخطوات في مسيرة السلطة .

الصراع السعدي الوطاسي :

لم يظهر الوطاسيون أي انزعاج للتحركات السعدية الأولى بسبب انشغالهم بمشاكلهم في الشمال وخروج الجنوب المغربي واقعيا عن سلطتهم وعجزهم عن العمل في هذه المناطق ولأن التحرك السعدي في مظاهره الأولى كان موجها ضد البرتغاليين بصورة أساسية ومن قبائل خارجة عن طاعة الوطاسيين وكان السعديون يعملون بحذر و يحرصون على تجنب كل ما يثير خاطر الوطاسيين و يظهرون ولائهم للسلطة الوطاسية

وفي ايطار هذه السياسة الحذرة اتجه احمد الاعرج ومحمد الشيخ في طريق عودتهما من الحج الى فاس وحثا السلطان الوطاسي على الجهاد وهذا الأخير ايدهما وكلفهما بدعوة الناس الى الجهاد مما هيا لهما فرصة التنقل في بلاد المغرب بحجة الدعوة الى الجهاد الامر الذي اكسبهما سمعة طيبة

وبدأت تحركات احمد الاعرج تثير شكوك الوطاسيين إثر دخول السعديين الى مدينة مراكش و الذي كان منعطفا مهما في العلاقات بين السعديين والوطاسين و كان احمد الاعرج حذرا و لم يشأ ان يكون البادئ في الصدام حرصا على مداراة الراي العام المغربي الذي كان معبأ بفضل الزعامات الصوفية و يترك بداية التحرك للوطاسيون

كان احتلال مراكش بمثابة انذار للوطاسيين وما زاد قلق الوطاسين نشاط احمد الاعرج الديبلوماسي فقد عمل على تنظيم تحالف مرابطي منهم مرابطي الدلاء مع مرابطي الريف الذين كانوا يتمتعون بسمعة طيبة بسبب كرههم للوطاسيون ولان احمد الاعرج شاركهم في الجهاد لاسترجاع طنجة و اصيلا و جراء هذا كله كان لابد من الوطاسيين التحرك اذ حاصروا مراكش لكن بفضل النشاط المرابطي - الشيخ الغزواتي - الذي كان ناقما على الوطاسيين حيث قاوموهم و سجنوا السلطان احمد الوطاسي في فاس فشلت المحاولة و اضطر السلطان الوطاسي الى فك الحصار و استأنف الصراع عام 1528 م فجرت معركة انماي غير الحاسمة التي انتهت بالصلح

و في عام 1537 م استعد احمد الاعرج للتحرك نحو فاس و جرت معركة في واد العبيد في مشروع بوعقبة لقي فيها الوطاسيون هزيمة ساحقة لكن القوى المرابطية ادركت خطورة هذا الصراع الوطاسي السعدي و تاثيره على الجهاد ضد العدو الخارجي و توسطت بين الطرفين و قام عدد من العلماء بالمفاوضات و رغم تشدد السعديين الا انه تم الاتفاق على ان تكون كل المناطق الواقعة بين تادلا الى السوس للسعديين.

اما في عهد محمد الشيخ و في خضم هذا الصراع السعدي الوطاسي نجح السعديين في استرجاع اغادير سنة 1541 م و ترتب على ذلك اخلاء البرتغال لأسفي و ازمور حيث زال خطرهم في الجنوب و صار بإمكان السعديين التوجه لاحتلال المغرب الشمالي و تمكنوا من استقبال التجار الأجانب و خاصة البريطانيين و الفرنسيين و الحصول على الأسلحة الحديثة كما ان هذا النجاح الذي حصل على يد محمد الشيخ اكسبه سمعة جيدة واسلحة حديثة ساعدته في الصراع الذي نشب بينه وبين أخيه احمد الاعرج حيث يرى الافراني ان الدسائس هي التي فرقت بين الاخوين و يرى البعض الاخر من المؤرخين ان الخلاف حول اقتسام غنائم اغادير فالخلاف نشب قبل سقوط اغادير لكن القطيعة النهائية و الصدام الحاسم وقعا بعد سقوط اغادير و رجحت كفة محمد الشيخ الى قبائل السوس حيث لقي تأييدا منها لأنه عرف خلال ولايته لإقليم الجنوب كيف يكسب ودها و محبتها و انسحب احمد الاعرج الى تافيلالت و حسم الامر بين الاخوين بسرعة

و في 1545 م استأنف السعديون نشاطهم و طالبوا بإقليم تادلا و زحفوا عليها و نشبت معركة بين الوطاسيين و السعديين على ضفاف وادي ادرنة احد روافد نهر ام الربيع و انتصر محمد الشيخ ثم برزت شخصية أبو حسون الوطاسي و قد ادرك هذا الأخير ان القوى قد تحول الى جانب خصومه فقرر ان يستعين بالعثمانيين فاعلن ولاءه للسلطان العثماني فقبل السلطان سليمان ولاء الوطاسيين بسرور كبير لانه يريد توطيد مركز العثمانيين في شمال افريقيا حيث ارسل سفيرا الى مراكش و طلب من محمد الشيخ ان يحذوا حذو ابي حسون حيث رفض هذا الأخير و اهان المبعوث العثماني فاتحا بذلك صفحة العداء مع الدولة العثمانية

قدم السلطان الوطاسي عدة تنازلات لمحمد الشيخ مقابل إطلاق سراحه واستولى محمد الشيخ على فاس بحصارها سنة 1549 م واضطر السلطان الوطاسي احمد الى عقد اتفاق مع محمد الشيخ ضمن حياته مع معاملة مشرفة وضمن الاتفاق ضمان سكان فاس واقتيد السلطان الوطاسي الى مراكش ودس له السم اما أبو حسون فقد غادر فاس الى بادس في الشمال ثم اضطر الى اللجوء الى الاسبان في مليلا وقد استخدم محمد الشيخ مع الفاسين اللين والاعتدال فحال دون حدوث نهب او اعمال عنف

الصدام السعدي التركي (العثماني):

تسرع محمد الشيخ لمهاجمة المغرب الأوسط – الجزائر- قبل ان يستقر به الامر تماما في المغرب و كانت تلمسان ماتزال بيد الزيانيين الذين كانوا بسبب ضعفهم يتقلبون في ولاءهم بين الاتراك و الاسبان و كانوا تحت حماية الاسبان وتطلعت انظار الناقمين في تلمسان على سياسة الزيانيين الموالين للكفار نحو محمد الشيخ فطالبوا منه التدخل لانقاذهم فلبى هذا الأخير النداء و ارسل جيشا بقيادة ابنه الحران الذي نجح بواسطة أنصاره داخل تلمسان الى احتلال المدينة و هرب الحكام الزيانيون و لجؤا الى الى الاسبان و بدلا من ان يلاحق الحران الزيانيين الى وهران فيحررها من الاسبان توجه بالرغم من أوامر والده نحو مستغانم التي كانت بيد الاتراك رحب الاسبان بهذا التحول و امتنعوا عن التدخل لصالح اتباعهم الزيانيين تاركين مسلمي المغرب يقاتلون مسلمي الجزائر رد حسن باشا بايلرباي الجزائر بعنف و قوة على التحرش السعدي ووجه جيشا الى مستغانم حيث نجح في استعادة المدينة و قتل حاميتها كما قتل الحران و اخا له و اضطر السعديون الى الانسحاب الى ما وراء نهر الملوية .

نهاية الصراع السعدي الوطاسي :

كان محمد الشيخ يسعى الى استرجاع بعض المراكز البرتغالية و امام هذا التهديد رأى البرتغاليون ان يضحوا باصيلا حين تدخل ابوحسون الوطاسي مطالبا بها لنفسه على ان يعيدها بعد استرجاع مملكته و لم يكتفي بمساعدة البرتغال بل كان يطمح الى مساعدة اسبانية و رغم محاولات أبو حسون العديدة للمساعدة الخارجية لكنه لم يحظى باية مساعدة فقد كثرت الاضطرابات جراء سياسة محمد الشيخ الضريبية و تزايد الأسلحة الحديثة الفرنسية

و البريطانية مما أدى الى اخلاء البرتغال لأصيلا و القصر الصغير و جراء هذه الاحداث و مطالبة اهل فاس لعودة أبو حسون للحكم شجع هذا البرتغاليون على تقديم بعض المساعدات البسيطة للوطاسين .

استطاع أبو حسون طرد محمد الشيخ من فاس بمعية الاسطول الجزائري بقيادة صالح ريس واستقبل الفاسيون أبا حسون بحماس لكن الاتراك استغلوا هذه الفرصة واستغلوا أهالي فاس فطردوا منها فوجد أبو حسون نفسه دون عتاد حربي فتحالف مع احمد الاعرج الذي استأنف الصراع مع أخيه ونجح محمد الشيخ بالفصل بين الحليفين وتغلب على أخيه واسره وهزم أبو حسون الوطاسي وقتله واسترد فاس سنة 1554م.

ولقب محمد الشيخ بالمهدي وقد مارس وسائل البطش جراء الإهانة والطرد الذي مني به من الاتراك بمدينة فاس ولكنه لم يشعر بالارتياح لانه لم يستطع ان ينسى الاستقبال والحماس الذي استقبل به أبا حسون بفاس وكان يرى ان في فاس مؤيدين للعثمانيين فقرر العودة الى مراكش عاصمة الجنوب وجعل منه العاصمة المفضلة